

237614 - معنى الإنزال في قوله تعالى : (وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) .

السؤال

يقول الله عز وجل في الآية الكريمة من سورة الزمر: (وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) فهل كلمة "أنزل" تعني أن الأنعام جاءت من خارج الكرة الأرضية على غرار الآية التي جاءت في الحديد: (وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ) ؟ إن كان من خارج الكرة الأرضية فما حكم من ينكر ذلك؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

اختلف المفسرون في معنى إنزال الأنعام المذكور في الآية الكريمة على عدة أقوال ، نكتفي بذكر أشهرها .
 فذهب كثير منهم إلى أن المعنى : خلق ، واقتصر بعض المفسرين على هذا القول ، ولم يذكر خلافه ، كابن كثير رحمه الله في تفسيره (7/86) ، وابن الجوزي في "زاد المسير" (5/245) . وهو ظاهر صنيع ابن جرير رحمه الله (20/162) حيث اكتفى في تفسير (أنزل) بـ (جعل) ولم يذكر غيره .
 وقال ابن كثير رحمه الله : " قَوْلُهُ: (وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) أَي: وَخَلَقَ لَكُمْ مِنْ ظُهُورِ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ " انتهى .
 وذهب آخرون إلى أن المعنى : قضى وقَدَّر ، قالوا : "لأن قضاء الله وتقديره وحكمه موصوف بالنزول من السماء، لأجل أنه كتب في اللوح المحفوظ كل كائن يكون " .
 انظر : " تفسير " الرازي (26/424) .
 "فالإنزال عبارة عن نزول أمره وقضائه" ، انظر " تفسير ابن جزي " (2/217) .
 "والإنزال مجاز عن القضاء والقسمة ، فإنه تعالى إذا قضى وقسم ، أثبت ذلك في اللوح المحفوظ ، ونزلت به الملائكة الموكلة بإظهاره" انتهى من "روح المعاني" (23/240) .

وجمع السعدي رحمه الله بين هذين القولين فقال :

"أي: خلقها بقدر نازل منه ، رحمة بكم " انتهى من "تفسير السعدي" (ص 719)

وذهب فريق ثالث : إلى أن الإخبار عن الأنعام بالإنزال "لأنها لا تعيش إلا بالنبات ، الذي يخرج بالمطر المنزل من السماء" .
 قال الشوكاني في "فتح القدير" (6/270) .

"ويحتمل أن يكون مجازاً ، لأنها لم تعش إلا بالنبات ، والنبات إنما يعيش بالماء ، والماء منزل من السماء ، فكانت الأنعام كأنها منزلة" انتهى .

وقال الألوسي في "روح المعاني" (23/240) .

"ويجوز أن يكون التجوز في نسبة الإنزال إلى الأنعام ، والمنزل حقيقة أسباب حياتها ، كالأمطار ، ووجه ذلك : الملابس بينهما" انتهى .

وقول رابع اختاره بعض العلماء: أن الإنزال على ظاهره ، ولكن ذلك لا يعني أن الأنعام منزلة من السماء ، فإن الله لم يذكر في الآية أنها منزلة من السماء ، وإنما معنى إنزالها أنها نزلت من أصلاب آبائها إلى بطون أمهاتها ، ثم نزلت من بطون أمهاتها إلى الأرض .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

"لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ وَلَا فِي السُّنَّةِ لَفْظُ نُزُولٍ ، إِلَّا وَفِيهِ مَعْنَى النُّزُولِ الْمَعْرُوفِ ، وَهَذَا هُوَ اللَّاتِقُ بِالْقُرْآنِ ، فَإِنَّهُ نَزَلَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ ، وَلَا تَعْرِفُ الْعَرَبُ نُزُولًا إِلَّا بِهَذَا الْمَعْنَى ، وَلَوْ أُريدُ غَيْرُ هَذَا الْمَعْنَى لَكَانَ خِطَابًا بِغَيْرِ لُغَتِهَا ، ثُمَّ هُوَ اسْتِعْمَالُ اللَّفْظِ ، الْمَعْرُوفِ لَهُ مَعْنَى ، فِي مَعْنَى آخَرَ ، بِلَا بَيَانٍ ؛ وَهَذَا لَا يَجُوزُ " انتهى من "مجموع الفتاوى" (257 / 12)

وقال أيضا :

"وَقَدْ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ إِنْزَالَ الْحَدِيدِ ، وَالْحَدِيدُ يُخْلَقُ فِي الْمَعَادِنِ.....

"ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ أَنْزَلَ الْحَدِيدَ ، فَكَانَ الْمَقْصُودُ الْأَكْبَرُ بِذِكْرِ الْحَدِيدِ : هُوَ اتِّخَاذُ آلَاتِ الْجِهَادِ مِنْهُ كَالسِّيفِ وَالسِّنَانِ وَالنَّصْلِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، الَّذِي بِهِ يُنْصَرُّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهَذِهِ لَمْ تَنْزِلْ مِنَ السَّمَاءِ.....

وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ نُزُولَ الْحَدِيدِ بِمَعْنَى الْخَلْقِ ، لِأَنَّهُ أَخْرَجَهُ مِنَ الْمَعَادِنِ ، وَعَلَّمَهُمْ صَنْعَتَهُ ، فَإِنَّ الْحَدِيدَ إِنَّمَا يُخْلَقُ فِي الْمَعَادِنِ ، وَالْمَعَادِنُ إِنَّمَا تَكُونُ فِي الْجِبَالِ ، فَالْحَدِيدُ يُنْزَلُهُ اللَّهُ مِنَ مَعَادِنِهِ الَّتِي فِي الْجِبَالِ لِيَنْتَفِعَ بِهِ بَنُو آدَمَ .

وَقَالَ تَعَالَى : (وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) ، وَهَذَا مِمَّا أَشْكَلَ أَيْضًا . فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: جَعَلَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: خَلَقَ ، لِكُونِهَا تَخْلُقُ مِنَ الْمَاءِ ، فَإِنَّ بِهِ يَكُونُ النَّبَاتُ الَّذِي يَنْزَلُ أَصْلُهُ مِنَ السَّمَاءِ ، وَهُوَ الْمَاءُ ...

وَلَا حَاجَةَ إِلَى إِخْرَاجِ اللَّفْظِ عَنْ مَعْنَاهُ الْمَعْرُوفِ لُغَةً؛ فَإِنَّ الْأَنْعَامَ تَنْزِلُ مِنْ بَطُونِ أُمَّهَاتِهَا ، وَمِنْ أَصْلَابِ آبَائِهَا تَأْتِي بَطُونُ أُمَّهَاتِهَا ، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: قَدْ أَنْزَلَ الْمَاءَ ، وَإِذَا أَنْزَلَ وَجَبَ عَلَيْهِ الْغُسْلُ ، مَعَ أَنَّ الرَّجُلَ غَالِبُ أَنْزَالِهِ وَهُوَ عَلَى جَنْبٍ ، إِمَّا وَقْتُ الْجِمَاعِ ، وَإِمَّا بِالْإِحْتِلَامِ ، فَكَيْفَ بِالْأَنْعَامِ الَّتِي غَالِبُ أَنْزَالِهَا مَعَ قِيَامِهَا عَلَى رِجْلَيْهَا ، وَارْتِفَاعِهَا عَلَى ظُهُورِ الْإِنَاثِ .

وَمِمَّا يُبَيِّنُ هَذَا : أَنَّهُ لَمْ يَسْتَعْمِلِ النَّزُولَ فِيمَا خَلَقَ مِنَ السُّفُلِيَّاتِ ، فَلَمْ يَقُلْ : أَنْزَلَ النَّبَاتَ ، وَلَا أَنْزَلَ الْمَرْعَى ، وَإِنَّمَا اسْتَعْمَلَ فِيمَا يُخْلَقُ فِي مَحَلِّ عَالٍ ، وَأَنْزَلَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَحَلِّ ، كَالْحَدِيدِ وَالْأَنْعَامِ " انتهى .

وقال ابن القيم رحمه الله :

"لَمْ يَقُلْ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ مِنَ السَّمَاءِ ، وَلَا قَالَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ السَّمَاءِ ، فَقَوْلُهُ مَعْلُومٌ أَنَّ الْحَدِيدَ وَالْأَنْعَامَ لَمْ يَنْزَلْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، لَا يُخْرِجُ لَفْظَةُ النَّزُولِ عَنْ حَقِيقَتِهَا ، إِذْ عَدَمُ النَّزُولِ مِنْ مَكَانٍ مُعَيَّنٍ ، لَا يَسْتَلْزِمُ عَدَمَهُ مُطْلَقًا.

وَالْحَدِيدُ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْمَعَادِنِ الَّتِي فِي الْجِبَالِ ، وَهِيَ عَالِيَةٌ عَلَى الْأَرْضِ ، وَقَدْ قِيلَ إِنَّ كُلَّ مَا كَانَ مَعْدِنُهُ أَعْلَى كَانَ حَدِيدُهُ أَجْوَدَ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ: (وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) ، فَإِنَّ الْأَنْعَامَ تُخْلَقُ بِالتَّوَالِدِ الْمُسْتَلْزِمِ إِنْزَالِ الذُّكُورِ الْمَاءِ مِنْ أَصْلَابِهَا إِلَى أَرْحَامِ الْإِنَاثِ ، وَلِهَذَا يُقَالُ أَنْزَلَ ، وَلَمْ يُنْزَلَ ، ثُمَّ إِنَّ الْأَجِنَّةَ تَنْزِلُ مِنْ بُطُونِ الْأُمَّهَاتِ إِلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْأَنْعَامَ تَعْلُو فُحُولَهَا إِنَاثَهَا بِالْوِطَاءِ ، وَيَنْزِلُ مَاءُ الْفَحْلِ مِنْ عُلُوِّ إِلَى رَحِمِ الْإُنْثَى وَتُلْقِي وَلَدَهَا عِنْدَ الْوِلَادَةِ مِنْ عُلُوِّ إِلَى أَسْفَلِ . انتهى من "مختصر الصواعق المرسلة" (ص 441) .

وهذا هو نفس اختيار الشيخ محمد ابن إبراهيم رحمه الله ، كما في "فتاواه" (100 / 13) .

وهذا القول الأخير هو أظهر الأقوال –والله أعلم– لأن فيه إبقاء الآية على ظاهرها ، وتفسير النزول بما يدل عليه في اللغة العربية . وهذا القول لا ينافي القول بـ (خلق) ولا القول بـ (قدر) ولكنها يزيد عليهما في المعنى .

وأما القول بأن الأنعام قد نزلت من السماء ، فهو قول ضعيف لم يدل عليه دليل ، ولذلك أعرض عنه عامة المفسرين ولم يذكره ، كابن جرير ، وابن كثير ، والطاهر بن عاشور رحمهم الله وغيرهم .

ومن ذكره من المفسرين : لم ينسبه إلى أحد من العلماء ، وإنما يقولون : وقيل : إلخ. ونحو ذلك ، كما فعل القرطبي رحمه الله وغيره ، وبعضهم صرح بضعف هذا القول ، كالألوسي رحمه الله فإنه قال : "وقيل : الكلام على ظاهره ، والله تعالى خلق الأنعام في الجنة ثم أنزلها منها . ولا أرى لهذا الخبر صحة" انتهى من "روح المعاني" (23/240) .

وأما القول بأن الحديد أنزل من خارج الأرض لقوله تعالى : (وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ) فلم يثبت هذا القول ، والخلاف في آية الحديد كالخلاف في آية الأنعام ولا فرق ، ولذلك يذكر المفسرون الآيتين معا عند الكلام على إحداها .

فما يذكره بعض المعاصرين من أن الحديد أنزل من خارج الأرض هو اجتهاد منهم لم يثبت في الشرع ما يؤيده . والله تعالى أعلم .